الصبر هو الإصرار والمقاومة والصمود وعدم نسيان الهدف

المكان: طهران

الحضور: أعضاء الحكومة، وكبار المسؤولين في النظام الإسلامي

الزمان: 1392/4/3ش. 1434/9/12هـ. 2013/10/03م.

المناسبة: لقاءات سنوية مع مسؤولي النظام خلال شهر رمضان المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمّد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين، سيما بقية الله في الأرضين.

نحمد الله تعالى على أن منحنا من العمر والفرصة ما ندرك به شهر رمضان آخر. من بركات هذا الشهر جلستنا الحميمية العامة هذه التي تجمع مسؤولي البلاد ومدراء النظام الإسلامي الرئيسيين، فهي جلسة يجتمع فيها الأصدقاء والمسؤولون ويأنسون ببعضهم، وهي إلى ذلك مناسبة لاستماع كلمات سيكون ذكرها واستماعها إن شاء الله مفيداً للبلاد وللناس وللأجواء العامة في المجتمع.

أشكر الإخوة والأخوات الأعزاء لتفضلهم بالحضور وتشكيل هذه الجلسة، وأشكر حضرة السيد رئيس الجمهورية لهذا التقرير المفصّل الذي عرضه. نتمنى أن يوفق الله تعالى كل المسؤولين، وجميع الحضور هنا، وكل الذين يقدّمون الخدمات والجهود في شتى أرجاء البلاد، وفي القطاعات المختلفة، ويجزل لهم الأجر، وستُرى جهودكم وخدماتكم – أين ما كنتم – في ميزان العدل الإلهي إن شاء الله، وينالها الثواب من الله سبحانه.

النقطة الأساسية التي أروم ذكرها في هذه الجلسة هي؛ أنه بعد كل نصر يمنحه الله تعالى للإنسان، يكون من واجب الإنسان تقديم الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى. بعد أن منّ الله عزّ وجلّ علينا بالموفقية في مجال معين من واجبنا مضاعفة التضرّع والتوسّل والتوجّه له سبحانه. هذا هو واجبنا. قال عزّ وجلّ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(1). النصر فضل إلهي يجب أن يقرّبنا إلى الله أكثر ويُحيي علاقتنا بالله ويضاعف من تضرّعنا لله سبحانه وتعالى. نشكر الله، فقد تعاقبت الانتصارات، والحمد لله على هذا الشعب نصراً بعد نصر. وكان آخر هذه الانتصارات – وقد كان نصراً كبيراً – عملية الانتخابات والمشاركة الشعبية الجماهيرية. كان للشعب الإيراني عموماً ولمسؤولي البلاد على نحو الخصوص دورهم في هذه الملحمة السياسية، وقد شملتهم هذه الألطاف والنصرة الإلهية. الآن وقد شملتنا النصرة الإلهية واستطعنا صناعة هذه الملحمة الكبيرة – وسوف تظهر آثار هذه الملحمة الكبرى في المجالات والقطاعات المختلفة تدريجياً – يجب أن نرفع أيدي التضرّع والتوسّل أمام العناية الإلهية ونشكر الله سبحانه وتعالى ونحمده. خصوصاً وأن الشهر هو شهر رمضان المبارك، وهذه بحد ذاتها فرصة وتوفيق وإقبال أننا نعيش هذه اللحظة

الحاسمة من المسيرة السياسية للبلاد في شهر الرحمة الإلهية. وقد قيل: «وهذا شهر الإنابة وهذا شهر التوبة وهذا شهر المغفرة والرحمة وهذا شهر العتق من النار والفوز بالجنة» (2).

هذا من أدعية أيام شهر رمضان المبارك. رمضان شهر الإنابة والتوبة. والتوبة معناها العودة عن الطريق الخطأ الذي سرنا فيه بذنوبنا وغفلتنا. معنى الإنابة أن نتوجّه لله تعالى في الحال والمستقبل. قيل إن الفرق بين التوبة والإنابة هو أن التوبة حالة ترتبط بالماضي، والإنابة تتعلق بالحاضر والمستقبل. نستغفر الله تعالى ونعتذر ونعود إليه من ذنوبنا وخطايانا وأفعالنا القبيحة التي صدرت عنا في مختلف المجالات والممارسات، وننيب أيضاً في حالنا ومستقبلنا ونعزز علاقتنا القلبية بالله. رمضان شهر الرحمة والمغفرة. قيل: «وهذا شهر العتق من النار».. إنه شهر التحرر والانعتاق من النار. والانعتاق من النار هو في الواقع الانعتاق من هذه الخطايا والمعاصي والذنوب التي نقترفها. ذنوبنا وخطايانا هي الشكل الناسوتي لتلك العذابات الأخروية. إذا كنا هنا نمارس الظلم ونغتاب ونسيء القول لذا وذاك ونتجاوز حدودنا ونتجاوز واجباتنا وتكاليفنا، فلكل واحد من هذه الأعمال صورته الأخروية التي تظهر وتتجسّم يوم القيامة بشكلها الخاص، ألا وهو العذاب الإلهي. قال الشاعر: «يا من مزّقت قميص يوسف / لن تنهض من هذا النوم الثقيل إلّا وأنت ذئب» (3). إيذاء الناس في هذه الدنيا يتجلى في عالم الآخرة على شكل عذاب إلهي وتحوّل الإنسان العاصي إلى ذئب. «هذا شهر العتق من النار والفوز بالجنة». الفوز بالجنة هو أن نصلح هنا أعمالنا ونطهّر قلوبنا ونؤدّي العبادات والواجبات ونرغب في النوافل، ونراعي الصدق والأمانة والصداقة والإخلاص تجاه المؤمنين، فيكون هذا هو الدخول إلى الجنة الذي تتجلى وتتجسّد به أعمالنا الصالحة يوم القيامة.. إنها تتجسّد يومئذ على شكل النعم الإلهية التي وعد بها المؤمنون والمتقون.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾(4). ذكر الله بتضرّع رصيد كل الخيرات والبركات التي بوسع المرء أن يظفر بها في مهلة الحياة الدنيا هذه. يجب أن لا يختص ذكر الله هذا بفترات الشدة والمحنة والجهد والضغوط، لا، في أطوار الرخاء والراحة أيضاً وفي الفترات التي لا يضايق الإنسان فيها همّ ولا غمّ مادي، يجب عليه أن يحافظ على ذكر الله في قلبه. حينما تطرأ علينا نحن البشر صعاب وشدائد نتذكر الله. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(5). يتوجّه الإنسان إلى الله في حين البلاء والشدة، وحين يرتفع البلاء ينسى الإنسان ربّه. كرّر القرآن الكريم كثيراً – ربما عشر مرات أو أكثر، ولم أحسب ذلك – عتابه على الإنسان بأنه حين يواجه الشدائد والصعاب يتذكّر الله ويتوجّه له، وحين ترتفع الشدة يغفل. هذه الطريقة تسدّ الطريق عليكم وتوقف مسيرتكم. في سورة يونس المباركة جرت الإشارة إلى هذا المعنى مرتين. وفي واحدة من المرتين جاءت اللهجة لهجة عجيبة.. لهجة عتاب إلهي شديد علينا، إذ قال عزّ من قائل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً﴾ حين تصيب الإنسان شدة يتوجّه إلى الله فيدعوه ويتضرّع إليه سواء كان نائماً مضطجعاً أو وهو يمشي أو وهو قاعد.. ﴿فَلَمّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرّ كَأَن لّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾.. حين ترتفع المشكلة يسير ويتحرك وكأنه لم يطلب منا شيئاً ولم نعطه

شيئاً.. إنها الغفلة المحضة.. ثم يقول: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(6).. اللهجة هنا لهجة حادة فيها توبيخ.

أيها الإخوة والأخوات.. يجب طلب العون من الله تعالى في كل الأحوال. يجب مواصلة صلتنا القلبية بالله في حال الرخاء والراحة وفي حال المحنة والكرب. هذا ما يضمن المسيرة التكاملية للإنسان ويحقق له سموّه ورفعته. وهذا ما يمكنه أن يأخذ بأيدينا إلى الهدف الأصلي من الخلقة. نعتقد أن هذا التوسل والتضرع يؤتي نتائجه وثماره العملية في كل ميادين الحياة. إذا كان هذا التوجّه إلى الله فلن يكون هناك ركود وسكون ويأس وعودة إلى الوراء وتوقف ومراوحة في ساحات الحياة المختلفة. والصبر والتوكل من لوازم العمل وضرورياته. إنكم مسؤولو البلاد في القطاعات والمجالات المختلفة، وثمة الكثير من الأعمال والمهام ملقاة على عواتقكم. أعمالكم هي لحياتكم الدنيا ولحياتكم الآخرة في الوقت نفسه، بمعنى أنكم حينما تؤدّون واجباتكم تعمّرون دنياكم وحياتكم وتعمّرون في الوقت نفسه ذواتكم وبواطنكم وأنفسكم. هذا العمل – وهو عمل دنيوي وأخروي في الوقت نفسه – يحتاج إلى عنصرين: الصبر والتوكل. تقول الآية القرآنية الشريفة: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (7). الصبر معناه الإصرار والمقاومة والصمود وعدم نسيان الهدف. يقول عزّ وجلّ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾ (8). في ساحة المعركة ومواجهة العدو إذا صبرتم تستطيعون بنفس درجة صبركم الانتصار على العدو.

قلنا مراراً وتكراراً إن المعارك في الساحات العالمية المختلفة غالباً ما تكون حرب إرادات. أي طرف تضعف إرادته أسرع سوف ينهزم. معنى الصبر الحفاظ على هذه العزيمة والإرادة. ومعنى التوكّل هو إنجاز العمل وطلب النتيجة من الله. لا يظنن ظان – وبالطبع فإن هذا الظن غير موجود في الأجواء الدينية اليوم، لكنه كان في الماضي وكان هذا الوهم ينشر في الإعلام – أن التوكل يعني الجلوس والقعود وعدم العمل وعدم التحرك ليقوم الله بإمدادنا وإصلاح الأمور وحلّ العقد، لا، التوكل يعني أن تنجز أنت العمل وتطلب النتيجة من الله وتتوقعها منه. وعليه فإن العمل مأخوذ – على حد تعبير طلبة العلوم الدينية – في موضوع التوكل.

استخدام وفائدة الصبر والتوكل، فضلاً عن الأعمال الشخصية، مهم للغاية في شؤون إدارة البلدان. صبرنا وتوكلنا لهما فائدهما وفعلهما في شؤوننا الشخصية من قبيل أن يكون لنا صبرنا وتوكلنا في التحصيل الدراسي، فنتقدم ونعمل على أساس الصبر والتوكل، وكذلك في المشاغل الإدارية، وفي الرياضة، وفي إدارة شؤون العائلة. في أي شأن من الشؤون الشخصية يفعل الصبر والتوكل فعلهما ويتركان تأثيرهما. والحال على نفس الغرار بالنسبة لإدارة البلاد والدولة – سواء الإدارة العامة الشاملة أو إدارة الأقسام والقطاعات المختلفة – إذ للصبر والتوكل دورهما الحاسم. من دون الصبر والتوكل لا يمكن للإنسان أداء الواجبات الملقاة على عاتقه لإدارة البلد. بنفاد الصبر والتسرّع والتبرّم والكسل واليأس عند مواجهة المشكلات – وهذه كلها حالات نقيضة للتوكل – لا يمكن أداء الأعمال الكبرى، ولا يمكن التقدم إلى الأمام ولا يتسنى حمل مسؤوليات تقدم البلاد الجسيمة الثقيلة.

على صعيد إدارة البلاد – وجميعكم تعملون في هذا المجال بشكل أو بآخر، وتتحملون مسؤوليات اقتصادية وتقنية وثقافية وعلمية وغير ذلك – إذا أردنا أن نستخدم الصبر والتوكل فيجب مراعاة عدة عناصر أساسية وأصلية:

العنصر الأول هو اختيار الاتجاه الصحيح. يجب أن نختار الاتجاه والمسار بنحو صحيح. هذه هي البوصلة والمؤشر الأصلي. إذا اخترنا الاتجاه بشكل خاطئ فإن جهودنا الدؤوبة المضاعفة لن تكون بلا نتيجة وحسب، بل وستبعدنا عن الطريق الصحيح أكثر فأكثر. يقول الباري عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (9). مساعيهم وجهودهم وأتعابهم صبّت في الاتجاه الخاطئ وفي طريق الضلال. أي إنها لم توضع في الاتجاه الصحيح. يجب اختيار الجهة بصورة صائبة. إذا لم يتوفر هذا المؤشر فإن الجهود والمساعي سوف تبعدنا عن المقصد والهدف. الاتجاه مهم جداً. ولقد شرحتُ في يوم الرابع عشر من خرداد لهذه السنة في ذكرى رحيل الإمام الخميني الجليل (رضوان الله تعالى عليه) في مرقده الطاهر، شرحتُ اتجاهات الثورة على أساس قراءة الإمام الخميني، وهذه القراءة وهي معتبرة وحجّة بالنسبة لنا. تحدثت بالتفصيل عن التوجّهات على صعيد السياسة الداخلية وعلى صعيد السياسة الخارجية وعلى الصعيد الثقافي وعلى الصعيد الاقتصادي. وهذه الإيضاحات موثقة بكلمات ونصوص الإمام الخميني الراحل (رضوان الله تعالى عليه). ولله الحمد فإن النخبة في إيران والخبراء والمسؤولين وكل أبناء الشعب في جميع أنحاء البلاد يؤمنون اليوم بالإمام الخميني ويقبلونه ويعتبرونه الملاك والمعيار. وأحياناً تطرح تفسيرات خاطئة للإمام الخميني، أو تفسيرات خاطئة غير صحيحة للاتجاهات التي كان يرمي لها الإمام الخميني، وهذه حالة سيئة وخطيرة. من حسن الحظ أن بيّنات الإمام الخميني أمامنا وفي متناول أيدينا: كلمات الإمام الخميني وكتاباته وآثاره أمام أنظارنا جميعاً. وقلنا في ذلك اليوم إن وصية الإمام الخميني وهي موجز وإجمال لتوجهاته متوفرة لدى الجميع. إذن التوجّهات مشخصة ومعلومة. وليست لدينا مشكلة في معرفة التوجّهات ولا نحتاج لأن نشخّص شيئاً. كان الإمام الخميني فقيهاً وحكيماً وواعياً ومتعقلاً وناضجاً ويتكلم بكلام مدروس ودقيق، ويفكر بشكل صحيح، وبهذا الفكر الصحيح أوجد الثورة وأسّس نظام الجمهورية الإسلامية هذا وأقامه ورسم خطوطاً واضحة مشرقة. وعليه، فإن أول عمل يقوم به كل مدير في أي قطاع أو مؤسسة هو أن يأخذ بنظر الاعتبار الاتجاه الصحيح.

العنصر الثاني هو استخدام كل الأدوات المتاحة. يجب إنزال كل الأدوات والطاقات إلى ساحة العمل. يجب تحويل هذه الاتجاهات إلى سياسات عملية. السياسات العامة جزء من هذه السياسات العملية. وميثاق الأفق العشريني جزء من هذه السياسات العملية، والسياسات التنفيذية للحكومة في القطاعات المختلفة جزء من هذه السياسات العملية. والبرامج والخطط التي تصادق عليها الحكومات ومجلس الشورى الإسلامي وتعقد العزم لتنفيذها جزء من هذه السياسات العملية. يجب في هذه السياسات العملية تبيين تلك الأهداف والتوجّهات الكلية، لتكتسب دورها وتبرز.

والعنصر الثالث هو النظر للأولويات. الأعمال والمهام كثيرة، وفي بعض الأحيان قد لا تكون هناك الطاقة والقدرة أو الأرصدة والمصادر المالية الكافية لتلبية كل تلك المتطلبات والأعمال، لذلك ينبغي رسم الأولويات وأخذها بنظر الاعتبار. هذا هو ما نستطيع القيام به على صعيد الإدارة من أجل تحقيق الصبر والتوكل.

لنلق نظرة عامة للبلاد. من حسن الحظ أن البلاد تمرّ بفترة جيدة. وأقولها لكم: إن فترات نقل المسؤوليات بين الحكومات المتعاقبة من الفترات الجيدة في البلاد وفي تاريخنا السياسي. تداول الحكومات والسلطات هذا من المنن الإلهية الكبرى علينا، وهي من الفرص الكبيرة التي توفرت لنا. تأتي أنفاس جديدة وإبداعات جديدة وأعمال جديدة وأذواق جديدة إلى الساحة – هذا ما رسمه الدستور وقرره – وهذه إحدى الفرص. وبالطبع إذا جرى العمل بطريقة أخرى فإن هذه الفرصة ستتبدل إلى تهديدات، وهذا ما يشاهده المرء في بعض البلدان حيث يتم تداول السلطة بالقوة وسفك الدماء والعنف، وليس الأمر كذلك في بلادنا والحمد لله. طبعاً ارتكبوا في سنة **88** خطأ كبيراً وساقوا البلد إلى حافة مثل هذه الهاوية، وأرادوا لبلادنا مثل هذه المشكلة، لكن الله سبحانه وتعالى مدّ يد عونه واستطاع الشعب تجاوز هذه المشكلة. طوال هذه الأعوام المتعاقبة منذ بداية الثورة – باستثناء هذه الفترة القصيرة في سنة **88** – كان تداول السلطة والمسؤوليات في البلاد يتم دوماً بهدوء وطيب وفرح. هذه فرصة مهمة جداً.

وعليه، اليوم حيث يتم تداول السلطة والحكومة تدخل إلى الساحة مجموعة جديدة وعناصر جديدة وأفكار جديدة وإبداعات وابتكارات جديدة، ويجب أن يتقدموا بالبلاد إلى الأمام إن شاء الله على أساس ما تم إنجازه لحد الآن ويضيفوا على البناء المشيّد لحد الآن طوابق أخرى. هذه فرصة مهمة جداً وجيدة وهي بمثابة العيد لبلدنا. أي إن تداول السلطة هذا أمر مبارك حقاً. ولتنظر أية جماعة تتولى السلطة نظرة إيجابية للجماعة التي سبقتها. لقد سمعتم هذا التقرير المفصل للدكتور السيد أحمدي نجاد رئيس الجمهورية. تم إنجاز الكثير من المهام والأعمال البارزة المهمة. وقد تأتي الحكومة اللاحقة فتضيف على حجم العمل هذا بنفس مقداره أو بمقدار ضعفين أو أكثر، فهل ثمة أفضل من هذا للبلاد؟ المهم هو استمرار التوجهات. وبخصوص استمرار التوجهات لديّ بعض النقاط أودّ تذكير المسؤولين والشعب بها في فرص قادمة إن شاء الله، أما الآن فلا حاجة ولا ضرورة لذكر تلك النقاط .

الشيء الذي من اللازم ومن الجيد التنبّه له في الوقت الحاضر هو إلقاء نظرة عامة لبلدنا وللظروف الكلية التي يمرّ بها. لا نريد الانشغال بالتفاصيل – فثمة الكثير من التفاصيل – ولنلق نظرة عامة لشؤون بلادنا العزيزة ونظام الجمهورية الإسلامية لنرى أين نحن وما نحن. لقد سجّلت هنا جملة من العناصر – ستة أو سبعة عناصر – وهي كلها حقائق وواقعيات:

الحقيقة الأولى هي أن بلدنا بلد له جغرافيا مهمة. موقعنا الجغرافي من المواقع الجغرافية الجيدة في العالم. لو قسمنا بلدان العالم إلى عدة درجات من حيث الموقع الجغرافي فمن المتيقن منه أن إيران ستكون في الدرجات العليا أو في أعلى الدرجات. وهذه ميزة هي ميزة الموقع الجغرافي، وهو ما نمتلكه وقد منّ الله به علينا.

الحقيقة الثانية هي تاريخنا وجذورنا الحضارية. جذورنا الحضارية القديمة وتاريخنا تاريخ زاخر بالمفاخر والأمجاد، خصوصاً من الحقبة الإسلامية فصاعداً. قبل الإسلام أيضاً كانت هناك في تاريخ بلادنا نقاط متميزة، لكن هذه النقاط الممتازة ازدادت بعد الإسلام مرات ومرات، من حيث العلم ومن حيث الصناعة ومن حيث القضايا الثقافية ومن حيث المفاخر السياسية على اختلاف أنواعها، ومن حيث التنمية في البلاد، سواء التنمية الكيفية أو التنمية الكمية. هذا هو تاريخنا. تراثنا العلمي في شتى مجالات العلوم البشرية والعلوم الإلهية تراث نادر النظير. الحق أنه قل ما يوجد بلد في مناطق آسيا والحضارات القديمة – في الهند والصين ومصر وما إلى ذلك – كانت فيه الحال على هذا النحو. أما المناطق الغربية فليست لها سوابق وماض تاريخي يذكر. وبالتالي فنحن من حيث التحضر من الحضارات البارزة المتفوقة. هذه أيضاً حقيقة من الحقائق.

الحقيقة الثالثة هي الثروات الطبيعية والإنسانية الملحوظة. قبل أكثر من عشرين سنة كان يقال إن الاحتياطي النفطي للبلاد سينفد وينتهي في التاريخ الفلاني – ويحددون مقطعاً زمنياً – ، لكن الاكتشافات التي جرت في مجال احتياطيات النفط والغاز زادت من هذه المدة إلى نحو أربعة أو خمسة أضعاف. وبلادنا غنية أيضاً على صعيد المعادن والفلزات وفي مجال الطاقة وفي الاحتياطيات المختلفة التي يحتاجها أي بلد من البلدان لإدارة نفسه.. إننا في هذا المجال بلد استثنائي.

وكذا الحال بالنسبة للمصادر الإنسانية والبشرية. قلنا مراراً – كنا نقول ذلك في البداية عن حدس وظن لكن الإحصائيات والأرقام الدولية أيّدت ذلك في ما بعد – بأننا من حيث مرتبة المواهب البشرية في المواقع والدرجات العليا، أي إننا أعلى من متوسط المجتمعات البشرية في العالم. مواهب البلاد ومواهب شبابنا استثنائية وممتازة، وأنتم تلاحظون هذا بالتالي. ربما ذكرت هذا مراراً وتكراراً، حسب المعلومات المتوفرة لديّ والتقارير التي تصلني والمشاهدات الموجودة والمتاحة، لا يوجد أي جزء من أجزاء العلوم والتقنيات تتوفر بناه التحتية في البلاد، ولا يستطيع شبابنا وعلماؤنا إنجاز أعمال كبيرة في ذلك الجزء. إذا كانوا غير قادرين على شيء فلأن البنى التحتية لذلك الشيء غير متوفرة. وطبعاً يجب أن يوفروا هذه البنى التحتية وهم يعملون على توفيرها وإيجادها. هذه ثروة طبيعية هي الثروة الإنسانية في بلادنا.

وثمة حقيقة أخرى يجب أن تلاحظ إلى جانب هذه الحقائق، وهي إننا طوال القرنين أو الثلاثة الماضية تلقينا ضربات قوية من قبل الاستبداد الداخلي والدكتاتوريات الداخلية في بلادنا، وأيضاً من قبل الهجمات الخارجية. إنها لحقيقة بأننا تلقينا ضربات. يعود تاريخ دخول وتدخل الدول الأجنبية في بلادنا إلى سنة **1800**م، أي إلى مائتين وإثني عشر عاماً مضت حيث حصل أول تدخل أجنبي عن طريق الحكم البريطاني في الهند. جاء جان ملكم الإنجليزي إلى إيران – والمطلعون على الأمر يعلمون تاريخ هذا الحدث – وحصل ما حصل من تبعات. وأدى ضعف تلك الحكومات في مواجهة النفوذ والهجمات التي شنتها الثقافة الغربية والسياسة الغربية والحكومات الغربية إلى انفعال البلد، وشيئاً فشيئاً سرنا نحو الضعف ولحقت بنا هزائم. هذه أيضاً حقيقة. إننا في تقديرنا

لقضايا البلاد ومعرفة الوضع الراهن لا يمكننا تجاهل تلك الحقبة. لقد وجّهوا لنا ضربات شديدة وقوية، وكان لهم نفوذهم السياسي ونفوذهم الثقافي، مضافاً إلى أنهم نهبوا مصادرنا.

للأسف لم تحصل أعمال صحيحة في هذا المجال لحد الآن. على باحثينا ومؤرخينا أن ينجزوا في هذا المجال أعمالاً تفصيلية عميقة بشأن نهب المصادر الاقتصادية للبلاد من قبل البلدان الأجنبية المتنفذة التي تدخلت في إيران، مثل بريطانيا في فترة معينة وروسيا في فترة أخرى وآخرون كانوا إلى جانب هؤلاء – وهؤلاء هم الأساسيون طبعاً – ثم جاءت أمريكا في نهاية المطاف لتمارس نفس هذا الدور.. نهب الثروات، والهيمنة السياسية، وإهانة الشعب. ما سمعتموه على ألسنة الساسة التابعين للسياسات الغربية والأجهزة الاستبدادية من إهانات لإيران والإيرانيين وإنكم غير قادرين وما إلى ذلك، ناجم كله عن تلك الهيمنة الثقافية الغربية والسيطرة السياسية للغرب على بلادنا. هذه من الحقائق والواقعيات.

الحقيقة الخامسة هي الصحوة الوطنية في ثلاث فترات متعاقبة. كان لنا صحوة وطنية عامة في ثلاث فترات. الفترة الأولى هي فترة الثورة الدستورية. والفترة أو المحطة الثانية هي النهضة الوطنية – آية الله كاشاني والدكتور مصدق – والفترة الثالثة هي الثورة الإسلامية. وقد هزم الشعب الإيراني في الفترتين الأوليين. كانت النهضة الدستورية نهضة مهمة لكنها هزمت وفشلت. وثاروا في النهضة الوطنية لكنهم أخفقوا. أما ما هي أسباب هذه الهزيمة فهذا ما يشكل بحوثاً ونقاشات طويلة، وقد كان لكل حالة أسبابها. أما الفترة أو المحطة الثالثة فهي الثورة الإسلامية. هذه هي الحركات الوطنية. وطبعاً كانت هناك حركات وأعمال ونهضات غير عامة – مثل نهضة التنباك وما شاكل – لكنها لم تكن تحركات وطنية لأجل تغيير وتحوّل جذري في البلاد، إنما كانت لأجل قضايا خاصة معينة. ما يمكن أن يوصف بأنه تحرك وطني وعمل كبير هو هذه المحطات الثلاث. هزمت تلك النهضتان، لكن نهضة الثورة الإسلامية كانت حالة ممتازة فرضت الهزيمة والركوع على الغرب والمعارضين، وقد كان ذلك بفضل شخص الإمام الخميني وشخصيته وبفضل الأحكام والقوانين التي اعتمد عليها إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله تعالى عليه)، وأوجد الجمهورية الإسلامية على أساسها، ورسم خطوطها الواضحة. هذه حقيقة. وعليه، فمقابل تلك الهزيمتين التين كانت لنا في السابق مقابل الهجمات الغربية، كانت لنا هذه المواجهة الناجحة المنتصرة حيال الغرب. وهذه أيضاً بدورها حقيقة.

الحقيقة السادسة هي تجربة التقدم على شتى الصعد. يقول البعض في خصوص القضايا السياسية – سواء السياسة الخارجية أو السياسة الداخلية أو الاقتصاد أو غير ذلك – إنه يجب أن نكون واقعيين. طيّب.. هذا هو الواقع. يجب النظر لهذا الواقع. من أهم الواقعيات والحقائق تقدم بلدنا إلى الأمام. لقد تغيّر بلد إيران منذ انتصار الثورة – أي في سنة **1357** – وإلى اليوم بمقدار لا نرى له نظيراً في البلدان الأخرى خلال مثل هذه الفترة، أي إنني لا أعلم نظيراً لهذه السرعة في التقدم. البلدان المتحضرة والصناعية والعلمية المتقدمة كانت مسافة مسيرهم حتى الوصول إلى الموضع الذي وصلناه إليه اليوم أطول. في حدود علمي يلوح لي أن هذا القدر من التقدم نادر أو منقطع النظير في العالم. لقد تقدمنا في المجالات العلمية – وقد أشار السيد رئيس الجمهورية اليوم لجوانب من هذا

التقدم، وطبعاً فإن تقدمنا العلمي أكثر بكثير من هذا، ونحن لا نقولها باعتبارنا مسؤولين داخليين، لا، بل هي تقييمات المراكز العلمية في العالم – وتقدمنا على الصعيد السياسي أيضاً. على المستوى السياسي الداخلي فإن نموذج الديمقراطية الدينية الجديد الذي عرضناه على العالم، وهذه الانتخابات، وهذا التداول للسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في البلاد من أكبر النجاحات. الديمقراطية الدينية ديمقراطية سليمة نزيهة من دون الممارسات والأساليب والمخادعات الدارجة في العالم. إنني آسف لأن كثيراً من شبابنا غير مطلعين على الأساليب التي يستخدمونها في العالم وفي أمريكا والغرب وأوربا في مواسم الانتخابات ولها ظواهر ديمقراطية لكنها في باطنها غير ديمقراطية. صدرت كتب جيدة في هذا المجال، وقد كتبها الغربيون أنفسهم، فليقرؤها وليطلعوا عليها.. كيفية انتخاب عمدة أو حاكم في ولاية من ولايات أمريكا، ثم انتخابه سناتوراً، ثم انتخابه رئيساً للجمهورية.. وطريقة دفع الأفراد إلى هذه الساحات وما هي الأساليب المستخدمة لذلك. ثم لهم أن يقارنوا ذلك بوضعنا هنا حيث يأتي شخص فيقف أمام الناس ويتحدث لهم وقد لا تكون له أحياناً أية سوابق تنفيذية فيستقطب الناس وتنطلق موجة ويهبّ الناس لصناديق الاقتراع ليدلوا بأصواتهم وينتخبوا بهذه النسب المئوية العالية. هذا نموذج جديد من الديمقراطية، وهو تعبير عن تقدم سياسي في بلادنا.

وكذا الحال في السياسة الخارجية. للجمهورية الإسلامية اليوم دور لا يقبل الإنكار في شتى قضايا المنطقة الأساسية. وهذا ما لا ينكره أحد. هناك التأثير في قضايا منطقتنا وهناك أيضاً التأثير في القضايا العالمية. إذن هناك تقدم في السياسة الداخلية وهناك عرض لنموذج ديمقراطي جديد، وهناك قوة الانتخابات الوطنية، وهناك التأثير في السياسة الخارجية. هذه التأثيرات حقيقة واقعة.

وهناك أيضاً التقدم والتنمية في البناء. حجم العمل والإنجازات الذي تم خلال هذه الأعوام الثلاثين على صعيد البناء مذهل حقاً. قبل الثورة كنا نذهب للمدن المختلفة وللقرى وللمناطق الفقيرة والمحرومة ونشاهد الوضع، ونعلم كيف كانوا يعملون في ذلك الحين. حين كانت تحدث زلازل – وقد شكلتُ بنفسي في عدة زالزل كبيرة فرق إمداد وإغاثة وعملنا هناك – شاهدنا كيف كانوا يعملون ويتحركون. والآن في الوقت الراهن لاحظوا أنه حين يقع زلزال في منطقة معينة من البلاد أو تحدث كارثة طبيعية ويتعرض الناس للمشاكل، لاحظوا بأية سرعة تصلهم الإغاثات والإمدادات. هذا شيء لا يصدق، لكنه حقيقة واقعة.

وكذا الحال على الصعيد الثقافي. لقد أحدثنا تحولاً ثقافياً بمقدار مائة وثمانين درجة بالنسبة إلى ما كان عليه الوضع قبل الثورة وفي عهد الطاغوت. وليس الكلام هنا عن التفاصيل والجزئيات، بيد أن نظرة كلية للأمور تدل على تحول بمقدار مائة وثمانين درجة. طبعاً إذا عملنا بصورة أفضل وضاعفنا من خبراتنا وأبدينا مزيداً من الجد سنحقق نجاحات على مستوى التفاصيل والجزئيات أيضاً.

المستقبل الواعد المشرق هو الآخر حقيقة من حقائق البلد. هذا الجيل الشاب شيء على جانب كبير من الأهمية والقيمة. ذكرت في شهر رمضان من العام الماضي هنا شيئاً وتمت متابعته بعض الشيء، ولكن ليس بصورة كاملة طبعاً. قضية تحديد النسل عملية خطيرة بالنسبة لبلدنا. هذا ما أقوله لكم وأؤكد عليه. تحديد النسل خطر كبير

على بلادنا. لقد سرنا في منطقة الخطر مسافات بعيدة ويجب أن نعود. وكان بوسعنا الحؤول دون ذلك لكننا لم نفعل. ما درسه الخبراء والمتخصصون بنظرة علمية وبدقة علمية يصل بنا إلى نتيجة فحواها أنه وفق هذا السياق سيواجه البلد في المستقبل مشكلات عديدة، وسيصاب بالشيخوخة العامة. تحديد النسل هذا شيء سيئ. طبعاً سمعت أن هناك في مجلس الشورى الإسلامي مشروع يدرسونه ويناقشونه، ولكن حسب ما نقل لنا فإن ذلك المشروع لن يفي بالغرض. المقدار المرصود في ذلك المشروع لا يلبّي الحاجة. على المسؤولين والمهتمين والمعارفين بمقتضيات هذه القضية في مجلس الشورى أن يتفطنوا جيداً ويعملوا بصورة صحيحة.

الحقيقة الثامنة هي أن البلد يواجه جبهة معاندة من الأعداء. مثل الكثير من الأشياء الأخرى والميادين الأخرى التي نتفرّد بها في العالم، نتفرّد في هذا الشيء أيضاً على مستوى العالم! لا نعرف بلداً توجد أمامه جبهة معارضة معاندة بهذا الطول والعرض، لكنها موجودة قائمة أمامنا. هناك جبهة الرجعية وهناك جبهة الاستكبار وهناك بعض زعماء البلدان الغربية، وبعض الضعفاء من المسؤولين في حكومات المنطقة. ثمة على كل حال جبهة مقابلنا. وطبعاً هناك لهذا الشيء أسبابه المعلومة والتي تقبل الإيضاح والتحليل – وليس هذا موضع تحليلها وإيضاحها – لكن واقع الأمر هو وجود مثل هذه الجبهة. إننا في مواجهتنا لهذه الجبهة يجب أن نتخذ قرارنا بالاستناد إلى تلك الواقعيات والحقائق وننظر لتلك الأهداف الكلية. على كل مسؤول في أي قطاع أن يعلم كيف هو طريق المستقبل في مثل هذه الظروف. يجب أن يستطيع تشخيص هذا الأمر. نعتقد أن هذه الحقائق ترسم لنا طريق المستقبل وتدلنا عليه. الابتكارات والإبداعات التي يجترحها المدراء والمسؤولون في الحكومة وقطاعاتها المختلفة تعدّ فرصاً للبلاد ونعماً إلهية. العقد الذي نحن فيه – وهو العقد الرابع للثورة الإسلامية – يمكنه أن يكون عقد التقدم والعدالة بالمعنى الحقيقي للكلمة. هذه الواقعيات والحقائق التي نشاهدها تملي كلها علينا بأننا نستطيع جعل هذا العقد عقد تقدم وعدالة بالمعنى الحقيقي للكلمة.

في التقدم نحو الأهداف المنشودة يجب تعزيز البنية الداخلية للاقتدار. هذا هو أساس القضية. إذا أردنا أن نواصل هذا الطريق ونسير بهذا الاتجاه ونتابع هذه الأهداف ونجعل هذه المثل والمبادئ نصب أعيننا ونتقدم إلى الأمام ونقف بوجه هذه المعارضات ونتحلى بالصبر والتوكل، فيجب أن نعزّز ونمتّن بنية القوة الوطنية في داخل البلاد. وعناصر هذا التعزيز بعضها عناصر دائمية وبعضها عناصر فصلية. من العناصر الدائمية العزيمة الراسخة. وقد ذكرنا أن على المسؤولين الحفاظ على تصميمهم في مواجهة المشكلات والحفاظ على عزيمتهم الراسخة، وأن لا يتزلزلوا. السير نحو المبادئ يحتاج إلى هذه العزيمة الراسخة. يجب أن لا يتزلزلوا بمشاهدة تقطيب الأعداء وغضبهم وتحركاتهم المعارضة بمختلف أشكالها الإعلامية والسياسية والاقتصادية وما إلى ذلك. العزيمة الراسخة للمسؤولين أمر ضروري وكذلك العزيمة الراسخة لأبناء الشعب. وبالطبع فإن هذه الثانية – أي العزيمة الراسخة للشعب – لها لوازمها المعلومة. إذا أردنا الحفاظ على العزيمة الراسخة لدى الشعب فعلينا القيام بسلسلة من الواجبات.

أما العناصر الفصلية – الأشياء التي تكتسب الأولوية للبلاد في الوقت الحاضر – فهي برأيي قضية الاقتصاد وقضية العلم. على مسؤولي البلاد والمخططين لسياسات البلاد والذين يتولون إدارة الشؤون الأساسية للبلاد أن يتنبهوا لهاتين النقطتين الأصليتين. يجب التشديد على القضايا الاقتصادية في البلاد، كما ينبغي التأكيد والتركيز على قضية التطور العلمي في البلاد. والاهتمام بالاقتصاد يتخذ لحسن الحظ طابعاً عاماً، فالكلّ مهتمون بالاقتصاد. والملحمة الاقتصادية جزء من شعار هذا العام. نتمنى كما تحققت الملحمة السياسية، أن تتحقق الملحمة الاقتصادية أيضاً بهمم المسؤولين. طبعاً ليست العمليات الاقتصادية عمليات قصيرة الأمد، فهي ليست أعمال ومشاريع شهر وشهرين وسنة، ولكن يجب البدء بالحركة. وأريد التشديد على قضية العلم والتطور العلمي. لقد كانت مسيرتنا العلمية طوال هذه الأعوام العشرة جيدة جداً، فقد كان التطور العلمي وسرعة هذه التطور جيدة جداً، ولكن يجب أن لا تقل سرعة هذه التطور العلمي. إذا أردنا الوصول إلى ذلك المستوى المنشود وفتح الخطوط الأمامية المتقدمة للعلم في العالم، فيجب الحفاظ على سرعة التقدم العلمي عندنا.

النقطة الثانية التي يمكن الإشارة لها في هذا الصدد هي قضية التعاطي والتواصل مع العالم، والتي كثيراً ما تطرح هذه الأيام. إننا نؤمن بالتعاطي والتواصل مع العالم. في التعامل مع العالم يجب معرفة الطرف المقابل، وإذا لم نعرفه فسوف نخسر. يجب أن لا ننسى ملفات خصومنا. قد لا يعلن المرء أحياناً عن بعض سوابق الطرف المقابل صراحة ولا يذكرها له، لا إشكال في ذلك. أحياناً تتعاملون مع طرف وتريدون إنجاز عمل ما، وتعلمون عنه بعض السوابق، فلا ترون من المصلحة أن تذكروا له هذه السوابق، لا إشكال في هذا، ولكن يجب أن لا تنسوا هذه السوابق، فإذا نسيتموها سوف تخسرون وتنخدعون وتتلقون الضربات.

يقول الأمريكان إننا نريد التفاوض مع إيران. إنهم يقولون هذا منذ سنوات، وهذه ليست فرصة يوجدونها لنا. وقد قلت في بداية السنة إنني لست متفائلاً بمثل هذه المفاوضات. ولا أمنع التفاوض في قضايا خاصة – كالقضية الخاصة التي كانت لنا في العراق وبعض القضايا الأخرى – لكنني لست متفائلاً، لأن تجاربي تدلني على هذا. الأمريكان لا يمكن الوثوق بهم وهم غير منطقيين وغير صادقين في تعاملهم. والأشهر الأربعة التي مضت على كلمتنا تلك عضّدت تلك الكلمة وأيّدتها وأبرزت مواقف المسؤولين والساسة الأمريكان بشكل يؤيد هذه الفكرة التي ذكرناها وهي أننا غير متفائلين بالتفاوض. هم أنفسهم أيدوا قولنا بمواقفهم. والإنجليز بشكل آخر، والآخرون بأشكال شتى. لا إشكال في التعاطي مع العالم، وقد كنا منذ البداية من أهل التواصل والتعاطي مع العالم، ولكن يجب معرفة الطرف المقابل عند التعامل، ويجب التدقيق في أساليبه. يجب أخذ أهدافه الأساسية والكلية بعين الاعتبار. قد يصدكم عدو عن مواصلة طريقكم ويقول ممنوع عليكم التقدم أكثر من هذا. ليس التفاهم معه أن توافقوا كلامه وتعودوا من حيث أتيتم، إنما الميزة والفن في أن تفعلوا ما من شأنه أن تواصلوا طريقكم من دون أن يمنعكم، وإلّا إذا كان الاتفاق والتفاهم بمعنى أن يقول لكم عودوا عن هذا الطريق وتوافقون على ذلك وتعودون، فهذه خسارة. ينبغي التفطن لهذه الجوانب والأمور من قبل المسؤولين والمدراء في الدولة.

طبعاً قضايا المنطقة بدورها قضايا مهمة تحتل مساحات من أذهاننا واهتماماتنا، ولكن لم يعد ثمة وقت أو مجال.

أيها الإخوة والأخوات، لقد تحمّلتم واستمعتم، نتمنى أن يشملكم الله تعالى جميعاً بفضله. اللهم، منّ علينا في هذا الشهر بتوفيق التضرّع إليك. اللهم أنقذنا من الجحيم التي نصنعها لأنفسنا بأنفسنا. اللهم اهدنا إلى عمل الخير والأعمال الصالحة. ربنا نقسم عليك بمحمد وآل محمد، اشمل المسؤولين الذين عملوا لحد الآن والمسؤولين الذين سيبدأون العمل قريباً، اشملهم كلهم بلطفك وعنايتك. الذين بذلوا الجهود لهذا البلد ولهذا الشعب تقبل أعمالهم وجهودهم. اللهم وفق الذين يعتزمون العمل لهذا البلد ويريدون بذل الجهود وتقديم الخدمة للشعب، واهدهم إلى الصراط المستقيم الذي ترضاه. أرض عنا القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر. وأرض عنا الروح الطاهرة للإمام الخميني الجليل وأرواح الشهداء الطيبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

1ــ سورة النصر، الآيات 1 – 3.

2ــ مصباح المتهجّد، ج 2 ، ص 610.

3ــ من أبيات جلال الدين المولوي الرومي.

4ــ سورة الأعراف، الآية 205.

5ــ سورة العنكبوت، الآية 65.

6ــ سورة يونس، الآية 12.

7ــ سورة العنكبوت، الآيتان 58 و59.

8ــ سورة الأنفال، الآية 65.

9ــ سورة الكهف، الآيتان 103 و104.